

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٢٩٧ : خ ١ - رمضان ٢ - شهر الإنفاق ، خ ٢ - الأقربون أولى بالمعروف.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٠٤-٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لرُبوبيّته ، وإرغاماً لمن جدد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ما اتّصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بخبر . اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنّك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنّك علينا قادر ، وأطفأ بنا فيما جرّت به المقادير ، إنّك على كلّ شيء قدير ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً ، وأرنا الحقّ حقّاً وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الإنفاق في سبيل الله :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الخطبة السابقة كانت عن القرآن الكريم ، لأنّ النبي عليه الصلاة والسلام كان في رمضان يُكثر من تلاوة القرآن ، والتي قبلها كانت عن حكم الصيام ، أما خطبة اليوم فعن الإنفاق في سبيل الله ، وخطبة الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى عن الزكاة.

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ النبي عليه الصلاة والسلام كان جواداً ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، ولكن ما فلسفة الإنفاق ؟ لماذا ننفق ؟ كلّمكم يعلم يا أيها الأخوة الأكارم أنّ في الإسلام عقائد ، وفي الإسلام عبادات ، وفي الإسلام معاملات ، وفي الإسلام أخلاق .

موقّع الصيام من العبادات ، الصيام عبادةً بدنيّة ، والصلاة عبادةً بدنيّة ، والزكاة عبادةً ماليّة ، والحجّ عبادةً بدنيّة ماليّة في وقتٍ واحد .

أيها الأخوة الأكارم ؛ ربّنا سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[سورة البقرة : ١-٣]

أحد أركان الإسلام أن تتفق مما رزقك الله ، الإنفاق أوسع من إنفاق المال يا أيها الأخوة ، قد تتفق علمك ، وقد تتفق خبرتك ، وقد تتفق جاهك ، وقد تتفق وقتك ، وقد تتفق مالك، المطلق على إطلاقه، ومما رزقناهم ينفقون .

إنفاق المال وسيلة فعالة ليرقى بها الإنسان إلى أعلى عليين :

آية أخرى ، يقول الله تعالى :

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

[سورة آل عمران : ١٣٣-١٣٤]

هؤلاء الذين خاطبوا قارون ، وقد آتاهم الله العلم ، قالوا له كما قال تعالى :

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص : ٧٧]

إذا كان الله سبحانه وتعالى أعطاك لتعطي ، أعطاك لتحبه ، وأعطاك لتعرفه ، وأمرك أن تعطي لتتقرب إليه ، إذا عرفت الله عز وجل ما السبيل إليه ؟ وما الطريق إلى التقرب منه ؟ كيف تحظى برضاه ؟ كيف تحظى بالقرب منه ؟ كيف تحظى بالإقبال عليه ؟ كيف تحظى بتجلياته ؟ كيف تتصل به ؟ كيف تسعد به ؟ بإنفاق ما عندك ، من هنا للتبعيض ، ومما رزقناهم ينفقون ، إذا كان الإنفاق على إطلاقه أكثر وسيلة فعالة للتقرب إلى الله عز وجل ، الله سبحانه وتعالى خلقك ليسعدك ، وأصل الخلق أن تسعد إلى أبد الأبد ، في جواره ، وفي جنته، وثمر هذه السعادة أن تأتي إلى الدنيا وأن تخالف النفس والهوى ، النفس مفطورة على حب المال، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢٢]

بنية النفس هي الحرص ، والتكليف الإنفاق ، فكأنك إذا أنفقت خالفت فطرتك التي فطرت عليها ، بهذه المخالفة ترقى إلى الله عز وجل ، لو جاء أمر الله عز وجل موافقاً لطبيعتك لا ترقى به ، الله عز وجل قال : كلوا واشربوا ، هذا أمر إباحة ، إذا تناولت الطعام الطيب لا تشعر أنك ترقى إلى الله عز وجل لأن هذا الجسد يحتاج إلى طعام ، والأمر الإلهي كلوا واشربوا الإباحة ، فإذا تناولت أطيب الطعام هل ترقى إلى الله عز وجل ؟ إذا جاء الأمر الإلهي موافقاً لطبيعة النفس لا ترقى به إلى الله عز وجل ولكن الأمر الذي يخالف طبيعتك البشرية ، قال تعالى :

﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[سورة النازعات : ٤٠-٤١]

من طبيعة الإنسان الحرص على المال ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢٢]

فكأنّ الإنفاق في أصله تكليف ، والتكليف متناقض مع طبيعة النفس ، من أجل أن ترقى أودع في نفس كل رجل حبّ المرأة ، وأمرك أن تغضّ بصرَكَ ، لماذا ترقى بغضّ البصر ؟ لأنّ تخالف شهوتك ، لماذا ترقى بالإنفاق ؟ لأنّك تخالف بُنيَتَكَ ، لماذا ترقى بِصلاةِ الفجر ؟ لأنّك تحبّ الراحة والنوم ، وها أنت ذا تستيقظ في وقتٍ من أجمل ساعات النوم ، لماذا ترقى بالأمر بالمعروف ؟ لأنّ الأمر بالمعروف في بعض الأحيان مُرهق ومُحرج ومُتعب ، لماذا ترقى بالنهي عن المنكر ؟ لأنّ السكوت أسلم ، فإذا نهيت عن المنكر ربّما جلبت لك المتاعب ، معنى التكليف أي ما فيه كُفّة ، شيء يخالف طبيعة النفس ، يخالف ما فطرت عليه ، لو أنّ الله عز وجل فطرنا على إنفاق المال لما كان لإنفاق المال من معنى ، ولما ارتقينا به ، ولكن لأنّ الإنسان خُلِقَ هُلوعًا كما قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢٢]

يأتي إنفاق المال وسيلة فعّالة ليرقى بها إلى أعلى عليين .

الإنفاق على إطلاقه من أكبر القربات إلى الله عز وجل :

من هو السعيد ؟ الذي استطاع أن ينتصر على نفسه ، أحد المفكرين في بلاد الغرب ، كان صائب التفكير ، قال : ملكنا العالم ولم نملك أنفسنا ، ما زالت هذه النفس مُسيطرّة، لا زال هذا الإنسان تابعًا لهواه ، ياتمر بهواه ، وينتهي بهواه ، لا يرقى الإنسان إلى مرتبة الإنسان الذي أَرادَه اللهُ عز وجل ، ولا يكون المؤمن مؤمنًا كما أراد الله عز وجل إلا إذا سيطر على نفسه وملكها وسيورها ، أنت أحد رجلين ؛ إما أن تُسيرَكَ نفسك وإما أن تسيورها ، إما أن تضبطك وإما أن تضبطها ، إما أن تكون تبعًا لها وإما أن تكون تبعًا لك ، فذلك الإنفاق لماذا نرقى به ؟ لأنّ الله سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان خلقه ليسعد في الجنان إلى أبد الأبد ، وثمن هذه الجنان أن يخالف النفس والهوى ، ومن مخالفة النفس والهوى إنفاق المال ، فذلك ربنا سبحانه وتعالى :

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص : ٧٧]

والآية الثانية :

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

[سورة البقرة : ٣]

والإنفاق في القرآن ، وردت الآيات المتعلقة فيه أكثر من مئتي آية ، والإنفاق أوسع من الزكاة ، كما قلتُ قبل قليل : يمكن أن تنفق وقتك ، ويمكن أن تنفق جاهك ، ويمكن أن تنفق علمك ، ويمكن أن تنفق خبرتك ، ويمكن أن تنفق قوتك العضلية ، ويمكن أن تنفق مالك ، الله عز وجل جعل الإنفاق على إطلاقه من أكبر القربات إلى الله عز وجل .

معرفة الله بما ينفق الإنسان :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ربُّنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ذكر الإنفاق في مواضع كثيرة ، من أبرز هذه المواضع ، يقول الله عز وجل :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

[سورة البقرة : ٢٧٠]

أي يجبُ أن تعلمَ علمَ اليقين أن الذَّهْم الذي تتفقهُ في سبيل الله يقعُ في يد الله كما ورد في بعض الأحاديث قبل أن يقع في يد المسكين ، قال تعالى :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

[سورة البقرة : ٢٧٠]

وهذا المعنى وردَ في آياتٍ كثيرة ، قال تعالى :

﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة : ٢٧٣]

فما قولك أن يعلمَ الله ، وأنت عبده أنك أنفقت شيئاً من مالك الذي أنت حريصٌ عليه ، الذي خلق الله في نفسك حبه ، أنفقتهُ في سبيل الله لعلَّ الله يرضى عنك .

من أنفق شيئاً في سبيل الله يخلفه الله عليه :

المعنى الثاني وهو المُطمئن ، قال تعالى :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

[سورة سبأ : ٣٩]

ما نقصَ مالٌ من صدقة ، عبيدٍ أنفقَ أنفقُ عليك ، أنفقَ بلائاً ولا تحش من ذي العرش إقلالاً ، إذا أمنت أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين تنفقُ ولا تهابُ الإنفاق ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ، وفي آيةٍ محكمةٍ يُطمئنك ، وهو أصدق القائلين ، ومن أوفى بعهده من الله ، ومن أصدق من الله حديثاً ؟ يُطمئنك ، قال تعالى :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

[سورة سبأ : ٣٩]

وقال تعالى :

﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة : ٢٧٢]

المعنى الأول الذي تتفقهُ يعلمه الله ، والمعنى الثاني الذي تتفقهُ يخلفه الله عز وجل ، وهل من آيتين أكثر دُفعاً للإنسان إلى الإنفاق من هاتين الآيتين ؟

إنما الأعمال بالنيات :

لكن المشكلة أنّ درهماً تنفقهُ في إخلاص خيرٍ من مئة ألف درهم ينفقُ في رياء ، إنّما الأعمال بالنيات ، اعبد الله مخلصاً له الدين ، يقول الله عز وجل يصفُ المؤمنين :

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة : ٢٦١]

قال تعالى :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾

[سورة الإنسان : ٩]

حررُ أيها الأخ الكريم نيتك ، راقب نفسك ، أنتبغي بهذا الإنفاق السُّمعة ؟ أتُحبُّ أن يقول الناس عنك : محسنٌ كبير ؟ أتُحبُّ أن يشيعَ إنفاقك بين الناس ؟ أتُرهبو بهذا الإنفاق ؟ لقد دخل الشرك الخفي ، قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة : ٢٦١]

وقال تعالى :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾

[سورة الإنسان : ٩]

الفرق بين إنفاق المؤمن و المنافق و الكافر :

أما أهل الكفر فقد قال تعالى عنهم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٣٦]

أما أهل النفاق فقد قال تعالى :

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾

[سورة التوبة : ٥٣]

المنافق ينفقُ ماله رياء الناس ، هذا الإنفاق إذا شابهُ النفاق فهو غير مقبول ، الكافر ينفقُ ماله ليصدَّ عن سبيل الله ، المؤمن ينفقُ ماله ابتغاء وجه الله تعالى ، ينفقُ ماله في سبيل الله . من علامات المنافق أيضاً أنّ الله عز وجل وصفَ إنفاقهم بالكراهية ، قال تعالى :

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

[سورة التوبة : ٥٤]

ينفقُ حياءً ، ينفقُ بعد أن يُحرج ، ينفقُ ويتمنى ألا ينفق ، ينفقُ ويتمنى أن يعود في نفقته ، المنافق يكرهُ النفقة ، والكافر ينفق ، ولكن ليصدَّ عن سبيل الله ، والمؤمن ينفقُ في سبيل الله ، وينفقُ ابتغاء

وجه الله تعالى ، بل إنَّ المؤمن إذا لم يُتَّح له أن ينفق ربَّما اعتَصِرَ حَزْنًا ، وقد وصفَ الله عز وجل أصحابَ رسول الله رضي الله عنهم الذين لم يجدوا ما ينفقون قال تعالى :

﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾

[سورة التوبة : ٩٢]

إنَّهم يحزنون لِعَدَمِ الإنفاق ، المنافق ينفقُ كارهاً ، الكافر ينفقُ ليصدَّ عن سبيل الله، المؤمن ينفقُ في سبيل الله .

من لم ينفق من ماله في سبيل الله فهو خاسر لا محالة :

معنى آخر من معاني الإنفاق ، ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة : ١٩٥]

القرآن إعجازه في إيجازه ، وإعجازه في أنه حمَّال أَوْجِهٍ ، فالذي لا ينفقُ إطلاقًا يهلك نفسه ، وهو لا يدري ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى جاء بك إلى الدنيا من أجل أن تنفق ، فإذا لم تنفق فكأنك نسيت المهمة التي من أجلها أتيت ، أنت خاسرٌ قطعاً إن لم تنفق ، قال تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة العصر : ١-٣]

فما دمت لا تعملُ صالحاً لا تنفق لا من وقتك ، ولا من مالك ، ولا من علمك ، ولا من جاهك ، ولا من خبرتك ، ولا من قوتك ، ولا من عضلاتك ، ما دمت لا تنفق فأنت هالك ، قال تعالى :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة : ١٩٥]

بِعَدَمِ الإنفاق ، هذا هو المعنى الأول ، ولا تلقوا بأيديكم باختياركم إلى التهلكة بِعَدَمِ الإنفاق ، لأنك أتيت إلى الدنيا من أجل أن تنفق ، ما لك لا تنفق ؟

الإنفاق باعتدال و تحري الطيب :

المعنى الآخر ؛ إذا أردت أن تنفق فأنفق باعْتِدَالٍ ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

[سورة الإسراء : ٢٩]

من معاني الآية أن أنفق باعْتِدَالٍ ، ولا تلق بنفسك إلى التهلكة ، والمعنى الآخر إن لم تنفق فأنتما تهلك نفسك ، ولكن مادام الإنفاق هدية إلى الله عز وجل ، ما دام هذا الدرهم يقع في يد الله قبل أن يقع في يد الفقير ، ما دامت هذه الخدمة ، وهذا الوقت هو لله ، ما دام هذا الجاه لله ، وما دام هذا العلم لله ، ما دامت هذه الخبرة لله ، ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

[سورة آل عمران : ٩٢]

إن أنفقت الطعام فليكن أطيب الطعام ، إن أنفقت المال فلتكن العملة جديدة ، بعض الصالحين يتقصى الدراهم الجديدة ليُنْفِقَهَا ، إن أردت إنفاق الوقت فليكن من الوقت الذي أنت مرتاح فيه ، إن أردت إنفاق الجاه إذهب بنفسك إليه أبلغ من أن تتصل به هاتفياً ، أو رسالة صغيرة ، قال تعالى :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

[سورة آل عمران : ٩٢]

أما المنافقون فيُنْفِقُونَ الخبيث ، وربنا عز وجل نهانا عن إنفاق الخبيث قال تعالى:

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٧]

شيء تعافه نفسك ، وشيء تمجّه نفسك ، شيء لا قيمة له عندك ، شيء أنت تزور عنه ، هذا الشيء لا تنفقه لأته هدية إلى الله عز وجل ، والآية الأخرى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ

مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٧]

درهم تنفقه في إخراج خير من مئة ألف درهم ينفق في رياء :

شيء آخر : إذا ضعف الإخلاص أيها الأخوة ، الإنسان يحب أن يأخذ مقابل ماله الذي أنفقه ، إما أن يأخذ تجلياً من الله عز وجل ورضواناً ، وإما أن يستجدي مديح الآخرين ، لذلك إذا أنفق نفقة يذكر صاحبه بها صباحاً مساءً ، أنا أعطيتك !! أنا فضلت عليك ، أنا أكرمتك ، لولاي لم تكن شيئاً مذكوراً ، هذا الذي يفعله بعض المنفقين أتلفوا إنفاقهم ، وضيعوا أجرهم لأنهم في أغلب الأحيان ليسوا صادقين مع ربهم ، وليسوا مخلصين ، فلا بد لهذا المال من عوض ، والعوض هو المديح ، فإن لم يمدحه الآخرون هو الذي من على الذين أعطاهم حتى ينضعضعون أمامه ، ويثنون على أفضاله ، وعلى خيراته ، لذلك الله عز وجل يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى﴾

[سورة البقرة : ٢٦٤]

إذا كنت تمنّ على الناس ، وتؤذيهم بأموالك ، فأنت بهذه النفقة لست مخلصاً ، تريد العوض في الدنيا ، واستجداء المديح ، تريد أن يثني الناس عليك ، تريد أن يُشيروا إليك بأصبعهم ، تريد أن يرفعوك ، إذا أنت لا تتبغي بهذه النفقة وجه الله عز وجل . لكن المؤمن الصادق يتخذ من النفقة قربة إلى الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾

[سورة التوبة : ٩٩]

ويا أيها الأخوة المؤمنون ؛ درهمٌ تنفقهُ في إخلاص خيّر من مئة ألف درهمٍ ينفق في رياء ، والإنفاق يتناسبُ مع سعة الإنسان ، قال تعالى :

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾

[سورة الطلاق : ٧]

لذلك رُبّ درهم سبق ألف درهم ، الذي يملكُ درهمين أنفقَ منهما درهماً أي أنفقَ نصفَ ماله ، والذي يملكُ ألفاً أنفقَ درهماً ، الدرهمُ ممّن يملكُ درهمين يسبقُ الدرهم الذي يملكُ صاحبه ألف درهم ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((رُبّ درهم سبق ألف درهم))

وقال تعالى :

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾

[سورة الطلاق : ٧]

باب الإنفاق من أوسع الأبواب إلى الله عز وجل :

لذلك صدقة الفِطر ، الشيء الغريب أنّها تجبُ على كلّ مسلمٍ ذكرٍ كان أم أنثى، حرّاً أو عبديّ ، غنيّاً أو فقير ، يجبُ أن ينفق ، إذا ملكَ الفقير قوتَ يومه ، وجبهُ طعامٌ واحدة عليه أن ينفق ، لِيَتَعَوَّدَ على الإنفاق ، وليذوق طعم الإنفاق ، حتى الفقير ، هذه صدقة الرأس ، أو صدقة الفِطر تجبُ على كلّ مسلمٍ حرّاً كان أو عبديّ ، ذكرٍ أو أنثى ، غنيّاً أو فقير ، شرطُ أن يملك قوتَ يومه فقط، من أجل ماذا ؟ من أجل أن تذوق أيّها المسلم طعم الإنفاق ، شيءٌ طيبٌ جداً أن تُعطي مالا أنت في أمسّ الحاجة إليه ، أن تُعطيه لأخيك المؤمن لعلّ الله يتجلّى على قلبك ، لذلك الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى قوله تعالى :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ﴾

[سورة التوبة : ١٠٣]

أي من أوسع الأبواب إلى الله عز وجل ، ومن أشدها فعالية باب الإنفاق ، قلّ لعبادي - هذه عبادي نسبةً تشريف ، تُسبب العباد إلى الله ، ياءُ المتكلم - قال تعالى :

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾

[سورة إبراهيم : ٣١]

الشيء الذي يُلفتُ النظر أنّ الصلاة فُرنتُ إلى الزكاة في القرآن في ثلاثٍ وعشرين موضعاً ، قبل الصيام ، وقبل الحجّ ، لأنّ الصلاة اتّصال والزكاة تركية والتركية تأتي عن طريق إنفاق المال ،

رجلٌ طَلِبَ منه أن يُساعدَ إنسانًا أو امرأةً أعطاهما الكثير ، فلامَهُ أصحابُه وقالوا له : إنَّها لا تعرفُ أنك كريم ، وكان يرضيها القليل ، فقال هذا المُحسِن : إن كانت ترضى بالقليل فأنا لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرفُ نفسي ومن ضاقتْ أمورُه وسُدَّتْ في وجهه الطُّرُق ، النبي عليه الصلاة والسلام يُنصِّحُه أن يستمطرَ الرِّزقَ بالصدِّقة ، كيف يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((داووا مرضاكم بالصدِّقة))

[الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

طبعًا إلى جانب المداواة العادية ، إلى جانب الطبيب والدواء ، هناك نصيحة نبوية :

((داووا مرضاكم بالصدِّقة))

[الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

كأنك بهذه الصدِّقة تسترضي الله عز وجل ، والله تعالى يُسترضى ، وكذلك استمطروا الرِّزق بالصدِّقة ، من ضاقت عليه الحِيل ، وضاقت عليه السُّبُل ، من كان ضيقَ ذات اليد فعليه بالصدِّقة فلعلَّ الله سبحانه وتعالى يُسترضى بها ، ويوسعُ على عبده الذي ضاقت عليه الأمور .

من أدى زكاة ماله فقد برئ من الشَّح :

أما الذين يكتزون الذهب والفضة ، كما قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

[سورة التوبة : ٣٤]

ولكنَّ الذي يؤدِّي زكاة ماله فقد برئ من الشَّح ، عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((ثلاث من كن فيه فقد برئ من الشح ، من أدى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، وقرى الضيف ،

وأعطى في النوائب))

[الطبراني عن جابر]

لا يجوز أن تصفه بأنه شحيح ، ولو أمسكت بيدك وأشرت بيدك بقبضها إشارة أنه شحيح فأنت آثم إذا كان قد أدَّى زكاة ماله ، ولكن أحدهم سأل أحد العارفين بالله وقال : يا سيدي كم الزكاة ؟ فقال هذا العارف : عندنا أم عندكم ؟ فقال : ما عندنا وما عندكم ؟ من نحن ومن أنتم ؟ فقال : عندكم اثنان ونصف بالمئة ، أو واحد بالأربعين ، أما عندنا فالعبد وماله لسيدِّه لذلك قال تعالى :

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

[سورة الذاريات : ١٩]

عن فاطمة بنت قيس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((في المال حقُّ سوى الزكاة))

[ابن ماجه عن فاطمة بنت قيس]

أي أنت أدّيت زكاة مالك بالتّمَام والكمال ، في اليوم التالي لك جارٌّ مؤمن بحاجةٍ إلى عمليّة جراحية، وليس له أحدٌ إلا أنت ، وطلب منك مبلغًا من المال ، فهل تقول له : أنا أدّيت ما عليّ؟! ابْحَث عن غيري ! لا .

((في المال حقُّ سوى الزكاة))

[ابن ماجه عن فاطمة بنت قيس]

فإذا جاءت كلمة معلوم ، هذه للزكاة ، أما قوله تعالى :

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

[سورة الذاريات : ١٩]

فهذه للصدقة وليس للزكاة .

أداء الزكاة يحفظ المال و ينميّه :

الآن هناك حجة واهية يقولها بعض الناس ، هذه الحجة إذا قالها الإنسان فقد وسم نفسه بالتفاق والكفر ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة يس : ٤٧]

إذا قلت هذا الكلام ، وقلت : إن هذا غير موكلٍ إليّ ، إذا قلت هذا الكلام فهو كلامٌ أهل الكفر ، قال تعالى :

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة الملك : ٢]

خلق الغني والفقير ، الأغنياء أوصيائي ، والفقراء عيالي ، فمن منَعَ مالي عيالي أدفنته عذابي ولا أبالي ، كيف أدفنته عذابي ولا أبالي ؟ ما تلف مالٌ في برٍّ أو بحرٍ إلا بحبس الزكاة ، أي تأتي موجة صقيعٍ خلال ثوان المحصول كلّهُ يصبحُ هشيمًا ، هل أدّيت زكاة هذا التّاج الزراعي ؟ هذا عليه العُشر إذا كان بعلًا ، وإذا كان مسقيًا فعليه نصف العشر ، هل أدّيت زكاة هذا المال ؟ تجدُ بقرةً لسببٍ تافهٍ ماتت ، ثمنها سبعون ألفًا ، هل أدّيت زكاة الحليب ؟ هل أدّيت زكاة العسل وهذا المحصول الزراعي ؟ لذلك ما تلف مالٌ في برٍّ أو بحرٍ إلا بحبس الزكاة ، هذا الحديث للخُطبة القادمة إن شاء الله . إذا قال تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة يس : ٤٧]

إنفاق المال في الحياة أفضل من إنفاقه بعد الممات :

آخِرُ آيَةٍ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[سورة المنافقون : ١٠]

النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((درهم تنفقهُ في حياتك خيرٌ من مئة ألف ينفق بعد مماتك))

[ورد في الأثر]

أنت عملت وصية ، من أدراك أن هؤلاء الذين كتبت لهم الوصية ينفقونها ؟ قد لا تنفق ، وأكثر الوصايا التي تكتب لا تنفق ، لأنّ الورثة قد يكونون أشحّة ، فأنت إذا أردت أن تتقرّب إلى الله عز وجل فادفع المال وأنت حيّ ، وأنت صحيح صحيح معافى ، ادفعه والله سبحانه وتعالى يعوض عليك أضعافاً مضاعفة ، فلذلك قال تعالى :

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[سورة المنافقون : ١٠]

هنا الندم ، يا ليتني أكون معهم فأفوز فوزاً عظيماً ، يا ليتني ويا ليتني ، وليت للتمني ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

[سورة النساء : ١٢٣]

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطئ غيرنا إلينا فلننخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأقربون أولى بالمعروف :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ قاعدةٌ فقهيةٌ : الأقربون أولى بالمعروف ، بعض العلماء فسّر هذه القاعدة فقال : الأقربون نسباً ، أو الأقربون إلى الفقر ، أو الأقربون إلى الإيمان ، فحيثما تساوى عندك

اثنان، استُخدِم العامل الآخر للترجيح ، اثنان في درجة فقرٍ واحدة ، أيهما أقرب إليك نسبًا ؟ هو الأولى ، اثنان تساووا في الفقر وفي النسب أيهما أشدّ صلاحًا وإيمانًا ؟ عندك أول عامل عامل النسب ، أو عامل الفقر ، أو عامل الإيمان ، إذا تساوى اثنان في عامل رجح بينهما في العامل الثاني ، فإذا تساوى اثنان في عاملين رجح بينهما في العامل الثالث ، فهذا الذي يجب أن تُعطيَهُ يجب أن تجتهد في ذلك لأنّ من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر ، أما هذا الذي لا يجتهد ، ويلقي المال جزافًا من دون دراسة ، ومن دون تروّ ، ومن دون تأمل ، ومن دون تحقيق ، ومن دون بحث ، قد يأخذ هذا المال إنسان ليس محتاجًا ، قد ينفقه في معصية الله تعالى ، فمن لم يجتهد ليس له أجر ، أصاب أم أخطأ ، من اجتهد وأخطأ فله أجر ، ومن اجتهد وأصاب فله أجران ، فأنت عندك قاعدة : الأقربون نسبًا ، تساوى اثنان في قرابة النسب ، أيهما أشدّ فقرًا ؟ تساوى اثنان في درجة الفقر ، أيهما أكثر صلاحًا ؟ بدأت بالإيمان ، الاثنان في مستوى إيمانٍ واحد، أيهما أقرب إليك ؟ بدأت بالفقر أيهما أكثر صلاحًا ؟ عند عامل الصلاح ، وعامل الفقر ، وعامل القرابة النسبية ، الأقربون أولى بالمعروف ، والإنسان ليس له الحقّ أن يدفع زكاة ماله ، وفي أقربائه محابيح ، لماذا ؟ لأنّه أدري بهم ، إذا كان هناك في الأقارب محابيح ينبغي أن تدفع هذا المال لمن هو محتاجٌ إليه ممّن تعرفه أنت وحدك ، فإذا لم يكن في أقاربك محابيح ، عندئذٍ تبحث ، وهناك جمعيات خيرية تتولّى عنك أحيانًا هذا الدّفع .

معنا الآن في هذه الخطبة خمسُ جمعيات خيرية ، جمعية الصالحية الخيرية ومعها كتاب رسمي ، وجمعية القنوات الخيرية ، ومعها كتاب رسمي ، وجمعية الشيخ محي الدين الخيرية ، ومعها كتاب رسمي ، وجمعية ركن الدين الخيرية ، ومعها كتاب رسمي ، وجمعية الهداية الإسلامية ، ومعها كتاب رسمي ، لا أدري لماذا تتوجّه إلينا هذه الجمعيات فيبدو أنكم أسخياء ، ويبدو أنكم تدفعون مبلغًا كبيرًا ، والمبلغ في الأسبوع الماضي كان - وجزاكم الله كلّ خير ، وأكرمكم ، وحفظكم ، وحفظ أموالكم وأولادكم وأهلكم - كان المبلغ مجزيًا ، ونالت كلّ جمعية من الجمعيات الأربع حوالي اثني عشر ألف ليرة ، أي جُمع في هذا المسجد حوالي خمسون ألفًا ، والآن عندنا خمسُ جمعيات ، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يكرمكم ، ادفعوا جزءاً من زكاة أموالكم لهذه الجمعيات ، والله سبحانه وتعالى لا يُضيع أجر من أحسن عملاً .

عباد الله إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون .

والحمد لله رب العالمين